السلفية في جيبوتي.. الواقع وآفاق المستقبل (الجزء الثاني)

التقرير الأسبوعي

الرقم: 51

إعداد: الكاتب والباحث / عبد الله الفاتح

تاريخ الإصدار: السبت 20 اكتوبر 2018

نبذة عن المؤسسة

الصومال الجديد مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل في مجال الإعلام والبحوث والدراسات والتنمية البشرية، وتأسست المؤسسة على يد مثقفين وكوادر مهنيين صوماليين في العاشر من شهر مايو عام 2015، ويقع مقرها الرئيسي في العاصمة الصومالية مقديشو.

يتناول الجزؤ الثاني من تقرير "السلفية في جيبوتي.. الواقع وآفاق المستقبلط مفهوم السلفية لغة واصطلاحا ودلالاتها ومواقف المنظرين للفكر السلفي والمعارضين له

المبحث الأول:

السلفية: المفهوم والتوظيف:

لم يكن من الممكن الولوج في صلب موضـوع هذه الدراسـة في سيـاق التحليل البحثي، دون التعاطي الموضوعي والمنهجي، مع مصطلح "السلفية" لتحديد مفهومه ودلالاته، نظراً للخلل الواسـع في التعامل مع هـذا المصطلح، ودلالاته، وذلك الخلل لم يعد يقتصر على أوساط غير السلفية، وإن كان فيهـا أوضح، بل إنه يمتـد أيضاً إلى الداخل السلفي[1]، ولذلك سنحاول في هـذا المبحث أن نُعـرِّف هذا المصطلح وتوضيحه من عدة زوايـا وأوجـه، وذلك وفق التقسيم الآتي:

❖ السلف لغـة:

أصـل كلمة "السلف" بمعناها اللغوي: تعني ما مضى وانقضى، وسلف الرجـل: أي آباؤه المتقدمون، فقـال ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): السين واللام والفاء أصـل يدل على تَقَدُمٍ وَسَبقٍ [2]، ولذا فإن كلمة السلف في اللغة تعني: المُتَقَدِم والسَابِق، وهي جمع سَالِفٍ، ويجمع على (أَسلَافٍ) و (سُلُوفٍ) و(سُلَافٍ).

وقـال ابن منظـور في "والسلف: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السبق والفضـل، ولهـذا سمي الصدر الأول من التابعيين "السلف الصالح"[3] ومنه قول النبي (صلى

---

[1] أحمد سالم – عمر بسيوني، ما بعد السلفية: قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1، 2015م، ص 23.

[2] انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 95/3.

[3] ابن منظور، لسان العرب، (159/9).

الله عليه وسلم) لابنته فاطمــة: فإنه نعم السلف وأنا لك" أخرجه مسلم [1]وقد وردت هذه الكلمة في عدة مواضع بالقرآن الكريم منـها:

قوله تعالي:﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَــلاً لِلْآخرِيْنَ﴾[2]

وقوله تعالى:﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوعِظَةٌ مِن رَبِهِّ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[5].

وقوله تعالى:﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيْئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[6].

❖ السلف اصطلاحاً:

بنــاء على التعريفات أعلاه، فإن كلمة (السلف) إذا أريـد بمعناها اللغوي، لا تعني ســوى التقدم والسبق، وهو معنى نسبي يمكن أن تتعاره الأزمنة المتوالية كلها، ككلمة (قبل) سواء بسواء، لأن كل زمن من الأزمان سالف إلى الأزمنة في أعقابه وخلفُ بالنسبة إلى الأزمنة التي سبقته ومرت قبلــه، غير أن هذه الكلمة قد اكتسبت معنى اصطلاحياً ثابتاً غير هذا، لا تتجاوزه ولا تنتقل منه

---

[1] سليم بن عيد الهلالي، السلف والسلفية: لغة واصطلاحاً وزماناً (موقع شبكة سحاب السلفية) 31 مارس 2006م.

[2] سورة الزخرف الآية: 56.

[3] سورة المائدة: (95).

[4] سورة البقرة: (275).

[5] سورة النساء: (22).

[6] سورة الحاقة: (24).

إلى سواه، وتستعمل بمنعاها الاصطلاحي المُستقر، بصدد الحديث عن أفضل العصور الإسلامية وأولاها بالاقتداء والاتباع[1].

وقد تناول الكثير من العلماء – منذ القدم– لهذا المصطلح، بصدد الحديث عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومنه قوله تعالى: (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)[2].

وبهذا المعنى قال الإمام البخاري: قال راشد بن سعد: "كان السلف يستحبون الفحولة، لأنها أجرى وأجسر" وعلق الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" (6/66) قائلاً: أي الصحابة ومن بعدهم".

ثُم تقرر هذا المصطلح عند معظم أهل العلم بمن فيهم علماء الكلام، وقال الإمام الغزالي معرفاً كلمة السلف: أعني "مذهب الصحابة والتابعين"[3] وبالتالي فإن مصطلح "السلف الصالح" هو تعبير يراد به المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى من عمر الإسلام، وهم الذين شهد لهم النبي(ﷺ)بالخيرية في قوله [: (خير الناس قرني، ثُم الذين يلونهم، ثُم الذين يلونهم) [4].

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1988م، ص 9.

[2] سورة التوبة: الآية: 100.

[3] أبي حامد بن محمد بن أحمد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ص 62.

[4] أخرجه البخاري (2530) ومسلم (4706) من حديث عبد الله بن مسعود.

❖ السلف زماناً:

كما سبقت الإشـــارة، فإن كلمة "السلف" بمنعاها الاصطلاحي المستقر، تعني تلك القـرون الثـلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإســلامية، التي شهـد لها الرسـول (ﷺ)بالخيرية.

وهنا يأتي سؤال مهم، وهو: هل التحـديد الزمني الوارد في هذا الحديث وغيره كاف في تحديد معنى السلف اصطلاحاً؟ أو بمعنى آخر: هل كل من عاش في ذلكم العصر المبارك يكفي أن يكون من السلف الصالح الذين يجب الاقتاد بهم؟

ولا شك أن هــذه المسألة ظلت محل جدل واختــلاف منــذ قدم التاريخ الإســلامي، وقد اختلفت فيهــا آراء أهــل العلـم قديمــاً وحديثــاً، وفي حيــن ذهب الجمهور، إلى أن الخيرية ثابتة لأفراد هذه القرون الثـــلاثة جميعاً، بغض النظر عن اختلاف درجاتهم وتفاوتهم في الصــلاح والاستقامة.

يرى بعض العلماء في مقدمهم الشيخ ابن عبد البـر، إلى أن الخيرية ثابتــة لمجموع المسلمين في تلك العصور الثلاثة، أما الأفـراد فقد لا تنطبق الخيرية على بعض منهم، بل قد يأتي فيمن بعدهم من هو أفضل منهم[1].

ومع ذلك كله، يجـزم الدكتور عبد الله البخاري: بأن السبق الزمني وحده ليس كافيــاً في تعيين السلف، إذ لا بد أن يضاف إلى هذا قيــدٌ مهمٌ، هو موافقته للكتاب والسنة، وفهم الصحابة، ولهذا نجـد أن أئمة السنة يقيـدون هذا الاصطـــلاح، فيقولون السلف الصالح، ليخرج بذلك السلف الطالح ممن كان في عصرهم، ولم يكن على فهمهم ومنوالهم ومنهاجهم [2].

وهذا ما ذهب إليه الشيخ محمد بن أمان الجامي، حيث قال: "عندما نُطلقُ كملة السلف، فإنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية: أصحاب رسو الله الذين حضروا عصره، فأخذوا منه هــذا

---

[1] أنظر فتح الباري على صحيح البخاري، 4/7.

[2] د. عبد الله بن عبد الرحيم البخاري، ماهي السلفية؟، دار الاستقامة، ط 1، القاهرة، 2012م، ص 15.

الدين مباشرة غضاً طرياً في أصوله وفروعــه، كما يدخل في هذا الاصطلاح: التابعون لهم، الذين ورثوا علمهم قبل أن يطُول عليه الأمـد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهُم "خيـر الناس" ...[1]

وقد ظهر هذا المصطلح واشتهر حين ظهرت النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، فإذن لا بد أن تظهر – والحالة هذه – أسس وقواعد واضحة المعالم، وثابتة للاتجاه السلفي، حتى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتــداء بهم، وينسج على منوالهم.

❖ مسألة اتباع السلف الصالح:

لقد أجمع العلماء على وجوب اتباع السلف الصالح، فقال الإمام ابن قُدامة: " فقد ثبت وجوب اتباع السلف رحمة الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع، والعبرة دلت عليه، فإن السلف لا يخلو من أن يكونوا مُصِيبينَ أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين وجب اتباعهم، لأن اتباع الصواب واجب، وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام، لأنهم إذا كانوا مصيبين، كانوا على الصراط المستقيم، ومخالفهم متبـع لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم[2].

وقال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، قل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم" [3].

---

[1] د. محمد أمان الجامي، الصفات الإلهية في ضوء الكتاب والسنة، ص 57.

[2] الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، أقسام البدعة وأحكامها، ص 293.

[3] أنظر: "الشريعة للآجري"، ص 58.

❖ مفهوم السلفية ودلالاتها:

يعد مصطلح "السلفية" من أكثر المفاهيم الفكرية والسياسية الحديثة، إثارة للجدل والخلاف في واقعنا العربي والإســـلامي، على اعتباره مصطلحاً فضفاضاً يشمل أكثر من دلالة وتعريف.

ولعل سبب هذا الغموض والالتباس الذي يحيط بالمصطلح، يرجـــع بالدرجة الأولى إلى تعـــدد الرؤى الفكرية والإيديولوجية للدارسين والمنشغلين بالمسألة السلفية، فضلاً عن عدم تحديد مضمون ودلالات هذا المصطلح في عديد من الدوائر الفكرية والسياسية.

فهناك من يرون "السلفية": التيار المحافظ والجامد، بل الرجعي في حياتنا الفكرية، وفي جانب الفكر الديني على وجه الخصوص، بينما يعتبرها الآخرون: التيار الأكثر تمرداً من فكر الخرافة والبدع، ومن ثم الأكثر تحرراً واستنارة في مجال الفكر الديني بالذات [1].

وهكذا تباينت الأوساط الدينية والفكرية واختلفت آراؤها في مشروعية الانتساب إلى السلفية من عدمها، وقد انقسمت المواقف بين مؤيد لها ويعتبرها نسبة محمودة لمنهج معصوم يجب الجميع اتباعه، ورافض لها يرى أن الادعاء وانتحال الانتساب للسلف الصالح، ليست سوى إحدى البدع المستحدثة بعد الرسول وخلفائه الراشدين، ولهذا نحاول من خلال السطور القادمة، تسليط الضوء على طبيعة هذا الجدل والخلاف في مسألة السلفية، وذلك على النحو التالي:

أولا موقف منظري الفكر السلفي:

كلمة "السلفية" بمعناها اللغوي تعني الانتساب إلى السلف، أما من حيث الاصطلاحي فإنها يقصد بها "مدرسة فكرية دينية سنية تدعو إلى اتباع منهج السلف الصالح بفهم نصوص الكتاب والسنة النبوية، باعتباره فهمـــاً يمثل نهـــج الإسلام الأصيـــل"، وبهذا يرى المنظرون للفكر السلفي، بمشروعية مسألة الانتساب إلى السلف الصالح.

---

[1] د. محمد عمارة، السلفية: واحدة أم سلفيات، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، ص 5.

وقال شيخ الإسـلام ابن تيمية في "مجمـوع الفتاوي" (4/149): "لا عيب على من أظهـر مذهب السلف، وانتسب إليه واعتزي إليه، بل يجب قبول ذلك بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقـاً"

وقال الشيخ الألباني معرفاً لهذا المصطلح: "إن السلفية: هي انتساب إلى السلف، وإن هذه النسبة ليست نسبة إلى شخص أو أشخاص كما هو حال الجماعات الأخرى الموجودة اليوم على البـلاد الإسـلامية، بل هذه النسبة هي نسبة إلى العصمة، لأن السلف الصالح يستحيل أن يجمعوا على ضـلال، وبخلاف ذلك الخلف، فالخلف لم يأت في الشرع ثناء عليهم، بل جاء الذم في جماهيرهم [1].

وقال أيضاَ: "إن التسمية بالسلفي جاءت تمييزاً عن المسلمين الذين لا يتبعون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وإن تسموا بالإسلام والسنة" [2].

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (رحمه الله): "الاتجاه السلفي اتجاه إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله على فهم السلف الصالح، والمراد بالسلف الصالح هي القرون المفضلة" [3].

ثانيا موقف المعارضين لهذا الاتجاه:

من جانبهم يرى الكثير من العلماء والمفكرين، أن معاني مجمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تضمنت كلمة "سلف" وما يتفرع عنها، لا تخرج عن الإطار اللغوي المعروف، وهو

---

[1] سليم عيد الهلالي، المصدر السابق.

[2] سليم الهلالي، لماذا اخترت المنهج السلفي، ص 42.

[3] انظر: "تحفة المجيب"، ص 316.

التقدم والسَّبق أي تحديد فترة زمنية معينة، دون إشارة إلى مذهب إســلامي أو منهجية عقدية وأصولية فقهية معينة.

ونحن إذا ذهبنا نلتمس معنى هذا المصطلح في القرآن الكريم، سنلاحظ أن "السلف" يعني: "الماضي" وما سبق الحياة الحاضرة التي يعيشها الإنسان، ونفس هذا المعنى يدل عليه هذا المصطلح في الحديث النبيّ (ﷺ) لابنته فاطمة الزهراء (رضي الله عنها): " فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك ..."[1].

وبحسب رأي إبراهيم أبو عواد – فإن من العجيب أن يُحمل هذا الحديث على شرعنة السلفية استناداً إلى فهم مغلوط منا في حقيقة معنى كلمة "السلف" التي تعني: المُتقَدِّم والسَابِقُ.

وعبثــاً يحاول – منظري الفكر السلفي – إعطاء "السلفية" صبغة دينيــة، بهدف تأصيلها وانتزاع الشرعية الدينية لها، من خلال إخراج آيات القرآن والأحاديث الشريفة التي وردت فيها كلمة "سلف" عن سياقها العام وبشكل يخالف كل قواعد اللغة العربية.

ويرى الدكتور أحمد محمــود: أن العمل العلمي السليم يتطلب بوضع المسميات في نصابها الصحيح، فمسمى (السلف الصالح) يطلق على السابقين من الأمة الإســلامية، أي عصر الرسالة الخاتمة وما فيه من الرسـول الله، والصحابة ومن بعدهم (التابعين وأتباع التابعين) وهذه الفترة الزاهــرة لها سماتها وملامحها الخاصة بها.

وما بعد عهود (السلف الصالح) تأتي عهود (الخلف) ونحن منهم، بمذاهب وقضايا وآراء منها الصحيح والسقيم، والصواب والخطأ، ولذا لا يجوز للخلف ادعاء وانتحال الانتساب للسلف

[1] متفق عليه.

الصالح تسمية، أو ينسب إليهم آراء قيلت بعدهم بقرون في مرحلة الخلف، وإلا كان كذباً على مبلغ الرسالة (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وعليه فإن انتساب فرقة من الفرق الإسلامية، ذات صبغة مذهبية: المذهب الوهابي في "الاعتقاد" والحنبلي في "الفقــه" ونسبة آراء هذين المذهبين الأصول والفروع إلى عهد السلف الصالح، يعد تدليساً وخداعاً وبهتاناً وزوراً [2].

[1] حديث صحيح أخرجه البخاري.

[2] أحمد محمود كريمة، (السلفية بين الأصيل والدخيل) دار الكتاب الصوفي، القاهرة، الطبعة الأولى: يناير 2012م، ص 7 – 8.